

الاستقلال ! متى يعود ؟

أن يحتفل الشعب اللبناني بذكرى الاستقلال المفقود، هو من بديهيات الأمور، فالاحتفال عند الشعب يُعبّر عن حنين إلى ماضٍ وعن توق إلى استعادة المفقود، ولكنّ الغريب في الأمر هو أن يحتفل بالذكرى أولئك الذين احتفلوا منذ أيام بذكرى التنازل عنه، وأعني بهم رجال الطائف مع إفرزاته السلطوية التي لا يتخطى دورها القيام بتكملة الديكور في وسط منصّة الشرف الرسمية. إن مشاركة السلطة بذكرى الاستقلال من دون الالتزام تجاه الشعب اللبناني باسترداده يضي على المناسبة جواً من الهزء والسخرية، وليست أكثر من محاولة إفراغ العيد من معانيه الوطنية واستيعابٍ للشعور الوطني بغية إخماده تدريجياً في نفوس المواطنين.

وفي ظلّ الفكر الواحد المهيمن على المجتمع اللبناني، وفي غياب الرأي المخالف له، يقوم العملاء بدسّ مفاهيم خاطئة للاستقلال ومضامينه تمهيداً لإلغائه، ويتجلى ذلك باتهام الداعين إليه بالعدائية لسوريا، معتبرين أنّ علاقة لبنان الطبيعية بها هي أن يكون محتلاً، مموهين الاحتلال بكلمة الوجود هرباً من المسؤولية الوطنية التي تقضي بوجود مقاومته وإزالته. ويذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فيدّعي بأن الاستقلال هو ضرب من الوهم، ومفروض على لبنان أن يكون جرماً في فلك سوريا كما صار إليه الوضع في هذه المرحلة.

كلّ ذلك يتمّ في ظلّ حكم مركّب من مجموعة اعتمدت العمالة وسيلة للوصول إلى مراكز المسؤولية، وتبني مع المواطنين علاقات مزيفة تقوم على الخداع والوعد الكاذبة، وتحمل اسماً لبنانياً لتمويه هويتها السورية، فهي لا تتسق ولا تتعاون مع النظام السوري بل تنفذ أوامره، وما تقوم به حالياً من تنازلات حقوقية لهذا النظام، من خلال التعاطي بالأزمة الحدودية وتحت غطاءٍ من شعارات وحدة المصير وتلازم المسارين، يربّث مسؤولية جسيمة تتخطى المسؤولية السياسية وتستوجب المحاكمة.

إن ما نطلع عليه من مواقف رسمية لبنانية هو خطير للغاية، لأنّه بذلك تكون الحكومة، بعد أن تنازلت عن قرارها الحرّ، مصمّمة أيضاً على التنازل عن الشرعية الدولية التي أعطتها مرتكزاً ثابتاً لسياستها الخارجية، وهي تبشّر الشعب اللبناني اليوم بأنّها ستترك حدود لبنان سائبة ولن تتقدّ القرار ٤٢٦.

وبالإضافة إلى سياسة الفراغ التي تبشّر بها الحكومة، هناك التهويل بشغب أمني وسياسي على لسان الدكتور بشار الأسد، والترويج له على ألسنة جوقة الحكم.

زد على ذلك احتفالات الجهاد الإسلامي وعملياته الموعودة، فسوريا التي أضرمت النار في لبنان بواسطة طابورها الخامس، وخلفت الذريعة لدخوله، ما زالت تستعمل نفس الإسلوب، يعاونها في ذلك نفس الطابور الذي أصبح في سدّة الحكم، ويجهد دائماً لإعطائها غطاء الاستمرار مقابل إعطائه الحماية للبقاء.

وبالرغم من كل هذا نحتفل بذكرى الاستقلال، وندعو الناس للاحتفال به خارج رعاية الحكم القائم، للاحتفاظ بمعانيه الحقيقية ولنرفض استمرار الصراع القائم على أرضنا وقد أتى على مقومات وجودنا، وليكن لنا شعار واحد بعد الآن هو شعار الالتزام بالقرارات الدولية وإخراج سوريا من لبنان بموجب القرار ٥٢٠، عندئذٍ فقط تعود الذكرى لتصبح عيداً.

العماد ميشال عون